من جهتهم جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة من حيث كونها سببا للحوق المضرة من جهتها
فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرير الجواب الثاني انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل
على عبادتها اعدى عدو الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازي حيث اسند وصف السبب
الحامل الى مسببه قوله استثناء منقطع لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ما كان قومه
يعبدونه والمعنى لكن رب العالمين الذي شانه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير
الصريح لقوله يهدين ليعم كل ما هداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه و
قوله الذي خلقني يحتمل ان يكون في محل الرفع على الابتداء فيكون فهو مبتدأ ثان ويهدين خبره
والجملة خبر الاول دخل الفاء في خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهو قوله والفاء السببية
ان جعل الموصول مبتدأ ولا يخفى بعده لان الموصول مبتدأ هنا معين ليس بعام كما في قوله
الذي ياتيني فله درهم ولان الصلة ليس مما يحتمل الصدور من المتعدد فلا تشبه الشرط فالظاهر
ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ يكون زيادة الفاء في خبره مبنيا على ما ذهب اليه الاخفش من جواز
زيادة الفاء في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون في محل النصب على انه صفة رب العالمين
فيكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقني لمدح على ان هدايته الله تعالى الى كل ما يحتاج اليه
في امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين خلقه الله تعالى ونفخ
فيه الروح الى ابد الاباد والاقم هداه الله الى ان يغتذي بالدم في بطن امه امتصاصا ومن
هداه الى خروجه متنكسا راسه والى معرفة الثدي عن الارتضاع وعند معرفة البكاء عند الحاجة
الى الغذاء وعند حدوث الالام والادواء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد قوله
فيكون اختلاف النظم يعني قال خلقني بلفظ الماضي لان خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد في الدنيا بل
لما فرغ تدرج الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدد كل حين قوله
تعالى والذي يطعمني ويسقين اضاف الاطعام الى نفسه لان الانعام لان الركون الى الاسباب عادة
الانعام وليس الاطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل
فيهما اعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع
والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام
حاله في الدنيا ولعله نبه بذكرهما على ما عداه قيل تقديم كلمة هو في هذه الصلاة دليل على انه لا يهدي ولا يطعم
ولا يسقي ولا يمرض ولا يشفي الا الله وحده وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان ومن الاغذية
والشفاء من الاطباء والادوية فاعلم ابراهيم عليه السلام ان المؤثر في جميع ذلك ليس الا رب العالمين
قوله الفقر والمرض في الاغلب يحدثان من الماكول والمشروب فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع

والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر قوله عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او من الشراب
وقال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وفي الحكمة البطنة خير من
خمصة تتبعها قوله وانما لم ينسب المرض اليه ولم يقل واذا امرضني مع ان المرض والشفاء
كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من
النعم لا جرم لم يضفه اليه تعالى ولما ترد على هذا الجواب ان الامانة اشد من
المرض وقد اسنده عليه السلام الى الله تعالى حيث قال والذي يميتني ثم يحييني اجاب
بانه لا نسلم انها اشد من المرض بل ليس فيه ضرر اصلا لان الضرر مما يتأذى الانسان
باحساسه وحال حصول الموت لا يتبع الاحساس به وانما الضرر في مقدماته وهو عين
المرض ثم ترقى في الجواب وقال بقاء النفوس الزاكية والارواح الطاهرة الكاملة
في العلوم والاخلاق المرضية في هذه الاجساد عين الضرر في حقهم وخلاصهم عنها
عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم فلذا اضافه اليه تعالى قوله
ولان المرض عطف على قوله لان المقصود تعديد النعم اي لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه
يحدث في غالب الامر بتقصير الانسان ولما كان للانسان سببه ظاهر في حدوث
المرض نسب اليه وان كان الكل عند الله تعالى وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء
بعض الاخلاط على بعض من حيث انها لما كانت متكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافرا
طبيعيا وذلك التنافر يستدعي استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعي
وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الاثر وتنافرها فلهذا اسند
اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع مع الوجه الخاص المسمى بالاعتدال
النوعي وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليها بعد طريان سوء المزاج
انما يكون بسبب قاهر يقهرها عليها من حيث انها بطباعها مائلة الى التنازع واستيلاء بعضها
على بعض وذلك السبب القاهر هو الله تعالى فلذلك اسند الصحة والشفاء اليه تعالى
واسند المرض الى العبد وقوله قهرا منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع
والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو خطاف واستخطاف
قوله كمالا في العلم والعمل اي زيادة على ما اعطيتني من الحكمة وهو العلم المتصل
به العمل بمقتضاه فان من يعلم شيئا ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم قوله حسن صيت
الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس ودون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)